بالمشتهافي ايام النيل ويحب مشاهدة البحر وفيه قال من جملة ابيات في اخر ديوانه
وطني مصر وفيها وطري ولعيني مشتهاها مشتهاها
فتوجه اليه يوما فسمع قصارا يقصر مقطعا ويضرب به على حجر وهو يقول
قطع قلبي هذا المقطع قال ما يصفو او يتقطع
فما زال يصرخ ويكرر هذا البيت ساعة بعد ساعة ويضطرب اضطرابا شديدا ويتقلب
على الارض ويكرر هذا ثم يسكن اضطرابه حتى يظن انه قد مات ثم يستفيق ويتحدث معنا
بكلام لدني ما سمعنا بمثله قط ولا نحسن ان نعبر عنه ثم يضطرب على كلامه ويعود الى
حال وجده ودخل الينا رجل من اصحابه فلما راى الشيخ وشاهد حاله قال
اموت اذا ذكرتك ثم احيا وكم احيا عليك وكم اموت
فوثب الشيخ قايما واعتنقه وقال اعد ما قلت فسكت الرجل شفقة منه عليه وساله
ان يرفق بنفسه وذكر له شيئا من حاله عند غلبة الوجد فقال
ان ختم الله بغفرانه فكلما لاقيته سهل
ولم يزل على هذا الحال من حين سمع قول القصار الى ان توفي رضي الله عنه. ذكر سبب رحلة
الشيخ برهان الدين ابراهيم الجعبري من جعبر الى زيارة شيخنا رضي الله عنه وذلك اني كنت
في مسجدي فورد على باطني انقباض من اول الليل الى طلوع الفجر فصليت الصبح فيه وخرجت
منه عازما على ضريح الشيخ فخرجت تحت مسجد الشيخ برهان الدين ابراهيم فسمعته يتكلم
في ميعاده فطلعت اليه ودخلت المسجد فسمعته يقول هذا البيت نظم السلوك قصيدة شيخنا رحمه الله
فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتي
فلما راني قال لا اله الا الله كنت اتكلم في معنى كلام الرجل فساق الله اليه ثم اقبل الي وامر بيده
المباركة على وجهي وصدري فشرح الله صدري وزال عني ما كنت اجده من الانقباض واقمت
زمانا اجد في باطني انشراحا وسرورا. وشرع يتكلم في معنى هذا البيت بكلام عجيب ولفظ غريب
ثم اخبرت بعد هذا الميعاد ان سبب ذكر هذا البيت في اول الميعاد ان الشيخ قال كنت في السياحة
بجعبر بالقرافة وانا اخاطب روحي واناجيها بتلذذي بفنائي في المحبة فمر بي رجل كالبرق وهو يقول

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتي
فعلمت ان هذا نفس محب فوثبت الى الرجل وتمسكت به وقلت له من اين لك هذا النفس فقال
هذا نفس اخي الشيخ شرف الدين بن الفارض فقلت له واين هذا الرجل قال كنت اجد نفسه من
جانب الحجاز والان اجد نفسه من جانب مصر وهو محتضر وقد امرت بالتوجه اليه وانا احضر
انتقاله الى الله تعالى واصلي عليه وها انا ذاهب اليه فلما التفت الرجل الى جانب مصر التفت معه
فشممت اثر الرجل فاتبعت اثر الرايحة الى ان دخلت عليه وهو محتضر فقلت له السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابراهيم اجلس وابشر انت من
اولياء الله تعالى فقلت يا سيدي هذه البشرى جاتني من الله على لسانك واريد اسمع منك
دليلا يطمئن به قلبي فان اسمي ابراهيم وفي من سر هذا الاسم الابراهيمي نصيب من قال اولم تومن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فقال نعم سالت الله تعالى ان يحضر وفاتي وانتقالي اليه جماعة من
الاوليا وقد اتى بك اولهم فانت منهم وكنت سالت جماعة من الاوليا عن مسيلة فلم يجبني
احد منهم فسالته عنها فقلت له يا سيدي هل احاط احد بالله علما فنظر الي نظر معظم لي
وقال نعم اذا احيتطهم يحيطون يا ابراهيم وانت منهم ثم رايت الجنة قد تمثلت له فلما نظر اليها
قال آه وصرخ صرخة عظيمة ما ارها صوته وبكا بكاء شديدا وتغير لونه وقال
ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد نظرت فقد ضيعت ايامي
امنية ظفرت روحي بها زمنا واليوم احسبها اضغاث احلامي
فقلت له يا سيدي هذا مقام كريم فقال يا ابراهيم رابعة العدوية تقول وهي امراة وعزتك
ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة في جنتك بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك وليس
هذا المقام الذي كنت اطلبه وقضيت عمري في السلوك اليه. ثم بعد ذلك سكن قلقه وتبسم
وسلم علي وودعني وقال احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة وصل علي معهم واجلس عند قبري
ثلاثة ايام بلياليهن ثم بعد ذلك توجه الى بلادك ثم اشتغل عني بمخاطبة ومناجاة فسمعت
قايلا يقول له اسمع صوته ولا ارى شخصه يا عمر فاتروم فقال
ارومُ وكم طال المدا منك نظرة وكم من دماءٍ دون مرماي طلّت

Copyright © King Saud University